ثلاث مشكاوات زجاجية من مسجد الرفاعي بالقاهرة•

مقدمة :

ترددت كثيرا أن اقدم على كتابة هذا البحث المتواضع عن ثلاثة مشكاوات من الزجاج المزخرف بالمينا والمموه بالذهب من مسجد الرفاعى بالقاهرة ، فالحقل الأثرى يزخر بأساتذة وعلماء أجلاء تتلمذت على أيدي البعض منهم ونهلت ما استطعت من علم وخبرة البعض الأخر ، ولكن عندما رأيت أنها سوف تقدم جديدا يفيدني ويفيد الآخرين في حقل الفنون والآثار بل التاريخ أيضا ، قررت عمل هذا البحث المتواضع وأرجو أن يوفقني الله فيه .

وكان لأهمية هذه المشكاوات الزجاجية اكبر الأثر في أن اقدم على عمل هذا البحث ، خاصة وان اقدم نماذج وصلتنا وتحتفظ بها المتاحف ودور الآثار ترجع كلها تقريبا ألي عصر المماليك ، والمشكاوات التي معنا والتي هي موضوع البحث عملت على مثال المشكاوات المملوكية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر للميلاد ، هذا وسوف أتطرق في البحث إلى بداية ظهور المشكاوات في العصر الإسلامي وطرق زخرفتها وأماكن صناعتها وغير ذلك من التفاصيل التي يمكن أن يتضمنها هذا البحث ، كما سوف أتناول هذه المشكاوات بالوصف والتحليل .

وقد ساعدني على إنجاز هذا البحث عدد الصور الفوتوغرافية التي أمكن التقاطها لهذه المشكاوات ، كما ساعدني أيضا تواجدي المستمر بالمكان الذي وجدت به هذه المشكاوات وهو مسجد الرفاعى ، حيث شرفت بالعمل فيه هو ومسجد السلطان حسن كمفتشاً للآثار منذ عام ١٩٩٤ وحتى أواخر عام ١٩٩٩ .

وقد استعنت ببعض المراجع أهمها :

- زكى محمد حسن (دكتور) : فنون الإسلام .
- مايسة محمود داود : المشكاوات الزجاجية في العصر المملوكي .
- رمضان عوض رمضان : الآثار الزجاجية المزخرفة بالمينا والمموهة بالذهب

ويسعدني أن أسجل شكري للأستاذ الدكتور / محمد الكحلاوي أمين عام جمعية الأثريين العرب على حسن توجيهه لي في إنجاز هذا البحث كما أسجل كل الشكر للدكتور محمد عبد الرحمن فهمي رئيس قسم الزجاج بمتحف الفن الإسلامي على ما قدمه لي من علم أفادني كثيرا في هذا البحث.

مدخل :

لقد شرف الزجاج كخامة والمشكاوات كهيئة بان نزل بها القرآن الكريم في اكثر من موضع وآية، وقد حددت الآية رقم (٣٥) من سورة النور المادة المشكلة للمشكاة وهى الزجاج ، ونوع الزيت المستخدم في إنارتها وهو زيت الزيتون ، كما أوضحت الآية مشتملات المشكاة فجاءت الآية بكل ما هو كامل شامل في يسر وإيجاز[١] .

كما كان الضياء والشفافية صفات لازمت الزجاج ، بل وأنها اجمل خصائصه أهمها رفعته بما فيها من قيمة تقنية وفنية إلى مستوى أهله لان يكون ضمن المدلولات الحسية التي أريد بها تقريب معنى نور الله تعالى إلى العقول البشرية القاصرة عن الإحاطة بصفاته سبحانه وتعالى .

ولم يصل الزجاج إلى هذه الدرجة من الصفاء والشفافية والى مرحلة متقدمة من الصنعة إلا بعد أن مر بمراحل من التطور بلغ امتدادها عدة آلاف من السنين .

ولقد تعددت النظريات حول تأريخ وكيفية اكتشاف المادة الزجاجية وتضاربت الآراء في الوقوف على موطن صناعتها الأول ، فيرجع بعض العلماء والمؤرخين اكتشاف المادة الزجاجية إلي الصدفة التي

• جمال أحمد حداد – المجلس الأعلى للآثار .

[١] رمضان عوض رمضان : دراسة علاج وصيانة لآثار الزجاج المزخرفة بالمينا والمموهه بالذهب؛ تطبيقا على مجموعة متحف الفن الإسلامي بالقاهرة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآثار جامعة القاهرة ، ١٩٩٩ ، ص ٥٢ .

إما أن تكون قد طرأت في مرحلة ما من مراحل عمليات تنقية المعادن بالصهر أو أنها نتجت عن ملاحظة تكون طبقة زجاجية لامعة على سطح الطوب .
هذا ويجمع معظم المؤرخين على أن ظهور العجين الزجاجية التي شكلت منها الأواني الزجاجية تعود إلى منتصف الألف الثاني قبل الميلاد حيث ظهرت أواني زجاجية بسيطة في مصر خلال حكم الأسرة الثامنة عشرة (١٥٨٠ – ١٣٥٨ ق.م)[٢] ولقد قامت أصول هذه الصناعة في جهات مختلفة من القطر المصري . فقد تمت أصولها في طيبة وامتدت فروعها إلى الفيوم فالاشمونين ثم إلى الإسكندرية كما انتقلت هذه الصناعة من مصر إلى أشور و فينيقيا حيث أخذتا في تقليد الصناعة المصرية إلى حد بعيد وان لم يبلغا فيها ما بلغته صناعة مصر[٣] في حين يرجع البعض أن هذه الصناعة قد بدأت في أراضى ما بين النهرين حوالي (١٣٠٠ ق.م) ، إلا أن الكسرة الزجاجية الزرقاء التي وجدت في مدينة اريدو Eridu السومرية والتي تعود إلي ٢٦٠٠ ق.م تشهد بأن صناعة الزجاج قد بدأت في وقت سابق على منتصف الألف الثاني قبل الميلاد.
وعلى الرغم من ظهور أوان مصرية تتميز بدقة الصنع تعود إلى النصف الثاني من الألف الثاني ق.م ، فان النهضة الأولى لهذه الصناعة كانت خلال القرنين الثامن والسابع ق.م حيث ازداد إنتاج الأواني الزجاجية وتعددت أساليب صناعتها ؛ ويعد أسلوب النفخ اعظم تطور في تاريخ الزجاج ،وقد حدثت ثورة في صناعة الزجاج عندما تم اكتشاف إمكانية تشكيل الزجاج بأشكال متعددة عند اخذ قطعة لزجة منه على طرف أنبوب معدني ونفخت وهذا الأسلوب فتح الباب للابتكار والإبداع في هذه[٤] الصناعة(و بالطبع انعكس هذا على صناعة المشكاوات)

المشكاوات الزجاجية عبر العصور الإسلامية :

التعريف اللغوي للمشكاة :

المشكاة كلمة حبشية من الألفاظ غير العربية التي ورد ذكرها في القرآن الكريم ، واصلها مشكوة على وزن فعلة ، وجمعها مشكاوات أو مشاكى ، وقد استعيرت هذه الكلمة حديثا لتطلق على الغلاف الزجاجي للمصباح ، بينما اصطلح على إطلاق كلمة قرايه على المصباح الداخلي المستخدم في الإضاءة ، والمشكاة كل كوة لا منفذ لها والكوة هي دخلة بسيطة في الحائط والمعاجم العربية تعرف المشكاة بأنها : ما يحمل عليه أو يوضع فيه القنديل أو المصباح٥ وأخذ من شكل الكوة وبداخلها وسيلة أل إضاءة شكل المشكاة الزجاجية ، التي وضع بداخلها أداة الإضاءة والفنان المسلم قد استوحى ذلك من سورة النور " الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونه..... " (النور – ٣٥)٦ .
ويطلق علماء الفنون والآثار الإسلامية كلمة مشكاة على الزجاجة آو القنديل الذي كان يوضع فيه المصباح لكي يحفظ المصباح من هبات الهواء وتحويلها إلى ضوء ينتشر بهدوء في أرجاء المكان[٧] .
ولم تعرف أمثلة واضحة للمشكاة تعود إلى أوائل العصر الإسلامي ، والمثال المبكر الوحيد للمشكاة يرجع إلى عصر الفاطميين ومحفوظ الآن بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة ،وهو عبارة عن آنية صغيرة كروية الشكل تشبه القدر من زجاج يميل إلى الاخضرار وهى خالية من الزخارف ولها ثلاث مقابض بالقرب من فتحة فوهتها وهي خاصة بالتعليق ، كما يحتفظ متحف الفن الإسلامي بأمثلة تشبه المشكاة

---

[٢] غادة حجاوى قدومى : التنوع فى الوحدة ، معرض خاص بمناسبة انعقاد مؤتمر القمة الإسلامي الخامس ، وزارة الإعلام بدولة الكويت ، ١٩٨٧ ، ص ١٠٠ .
[٣] فؤاد سعودى : صناعة الزجاج قديما وحديثا ، القاهرة ١٩٥٦ ص ١١ .
[٤] غادة حجاوى قدومى :مرجع صابق ص ١٠٠
[٥] مايسة محمود داود : المشكاوات الزجاجية فى العصر المملوكى ، رسالة ماجستر غير منشورة ، كلية الآداب ، جمعة القاهرة ١٩٧١ ، ص ٦٤ – ٦٦ .
[٦] سعاد ماهر : الفنون الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٨٦ - ص ١٦٤ .
[٧] حسن الباشا : موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية ، المجلد الثاني ، ط ١ ، بيروت، ١٩٩٩، ص ٢٥٦ .

ممثلة على خمسة شواهد قبور من الحجر الجيري ، هذا بخلاف بعض الأمثلة التي جاءت في رسوم الخزف ذات البريق المعدني التي ترجع إلى القرن الخامس الهجري – إلحادي عشر الميلادي، وكان العصر الفاطمي هو العصر الذهبي لصناعة الزجاج ؛ حيث ظهرت فيه أساليب حديثة سواء في الصناعة أو الزخرفة ، كما واصلت صناعة الزجاج تطورها في العصر الأيوبي ومع انه لم تصلنا مشكاوات من ذلك العصر إلا انه يوجد مثال لها ورد على شاهد قبر من الحجر باسم عبد الله الأسد وعليه تاريخ سنة تسع وتسعين وخمسمائة ، وفى هذا المثال تظهر القراية من خلال المشكاة مما يدل على أنها من الزجاج الذي يشف عما بداخلة [٨]،وقد استمر التطور في هذه الصناعة حتى وصلت إلى قمة مجدها في العصر المملوكي، والذي يعد بحق عصر ازدهار هذه الصناعة من الناحية التقنية والناحية الفنية ؛ حيث وصلتنا من هذا العصر أرقى المشغولات الزجاجية ، وبصفة خاصة الزجاج المزخرف بالمينا والمموه بالذهب بصور وأشكال مختلفة لعل أبرزها و أهمها المشكاوات الزجاجية الإسلامية .

ومع بداية العصر العثماني في مصر والشام ؛ فلقد كان ما قام به السلطان العثماني سليم الأول من نقل الصناع المهرة ، ومن بينهم صناع الزجاج ، إلى القسطنطينية لإنشاء مراكز متقدمة لهذه الصناعة بها ؛ اعظم الأثر في ضعف وتراجع صناعة الزجاج في كل من مصر وسوريا ،كما كان للتشابه الكبير في زخارف وأشكال المشكاوات الزجاجية المزخرفة بالمينا والمموهة بالذهب ، والتي أنتجت في كل من مصر وسوريا أن صار البعض يخلط في تأصيل بعض القطع المصنوعة في كلا البلدين[٩].

وتعد المنتجات الزجاجية المموهة والمزخرفة بالمينا قمة المنجزات التي تمت في صناعة الزجاج في العالم الإسلامي ، وقد بلغ هذا الأسلوب الزخرفي أوجه في القرنين السابع والثامن للهجرة (١٣ -١٤ م). وقد اقترن التمويه بالمينا مع التذهيب حيث كان الأخير بمثابة مهاد للزخارف الملونة بها[١٠].

ويلاحظ أن مركز الصدارة في صناعة الزجاج خلال العصور الإسلامية كان يتناوب بين بلد وآخر تبعا لأهمية البلد السياسية والحضارية في وقت من الأوقات ، فالعراق مثلا رفعت في بداية العصور الإسلامية في القرن الثالث الهجري (٩م) راية التقدم والازدهار في صناعة الزجاج ، ثم سلمتها إلى مصر وسوريا اللتان ظلتا في مركز الريادة حتى نهاية القرن الثامن للهجرة (١٤م) ؛ حيث انتقل هذا التفوق منهما إلى بلاد فارس والبندقية وقد تعرضت صناعة الزجاج فيهما في القرن التاسع للهجرة للتدهور نظرا للمنافسة الخطيرة من قبل مصانع الزجاج الفينيسية بإيطاليا ، حتى أنها لم تستطع مقاومتها في آخر الأمر بسبب العوامل الاقتصادية والسياسية ، والتي عجلت بالقضاء على صناعة الزجاج المزخرف بالمينا ٍوالمموه بالذهب بصفة عامة ، والمشكاوات بصفة خاصة في نهاية القرن التاسع للهجرة .

وعلى الرغم مما فرضته مصانع فينيسيا من سرية تامة على صناعة الزجاج المزخرف بالمينا والمموه بالذهب ، ألا أن سر هذه الصناعة قد انتقل إلى معظم دول أوروبا مثل ألمانيا وفرنسا وبلجيكا وهولندا[١١].

ومن هنا نجد أن المشكاوات الثلاثة موضوع البحث صنعت في أوروبا وليس في مصر أو سوريا ، وفى هذا الصدد يذكر الدكتور محمد عبد الرحمن فهمي (رئيس قسم الزجاج بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة) ، والذي كان أحد أعضاء اللجنة المشكلة من المجلس الأعلى للآثار لفحص ومعاينة هذه المشكاوات : " أن هناك جهتين فقط في أوروبا قامتا بتقليد المشكاوات المملوكية هما فينيسيا بإيطاليا ،

[٨] مايسة محمود داود : مرجع سابق ، ص ص ٧٥ – ٧٦ .
[٩] رمضان عوض رمضان : مرجع سابق ، ص ٢٢ .

[١٠] غادة حجاوى قدومى : مرجع سابق ، ص ١٠١.
[١١] غادة حجاوى قدومى : مرجع سابق ، ص ١٠١ ، ومايسة محمود داود : مرجع سابق ، ص ص ٢٧٣- ٢٩٢ .

وفرنسا التي قامت بعد حملتها على مصر (١٧٩٨ – ١٨٠١ م) بتقليد مشكاوات حديثة على النمط المملوكي ، ويلاحظ أن هذه المشكاوات التي صنعت في فرنسا والتي تحمل نصوص كتابية ، سواء كانت هذه النصوص قرآنية أو لقبيه ؛ جاءت هذه النصوص مغلوطة أو غير مكتملة نتيجة لعدم دراية الصانع أو المزخرف بالنصوص العربية ، كما أن خامات هذه المشكاوات جاءت خالية من الفقاقيع الهوائية التي كانت سائدة في المشكاوات المملوكية . كما جاءت المشكاوات المقلدة أيضا بخامة تختلف في لونها عن الخامة الأصلية ، فجاءت اغمق في درجة لونها ، وجاءت بعض المشكاوات التي صنعت في فرنسا مصنفرة الزجاج ، كذلك اختلفت هذه المشكاوات عن المشكاوات المملوكية الأصلية ، فمن حيث السمك نجد سمك المشكاوات الأصلية ٥، ٧ ملي تقريبا، في حين نجد سمك المشكاوات المقلدة معظمها مقاس واحد غير متفاوت الدرجات إذ جاء السمك ٤ ملي "[١٢].

ومع انه لا تظهر تواريخ على المشكاوات المملوكية ، إلا أنها كانت قد صنعت لمؤسسات دينية محدودة ، وتاريخها معروف ؛ ومن هنا تتوفر لنا معرفة التتابع التاريخي والزمني لقطع الزجاج المملوكي عن طريق متابعة مشكاوات المساجد التي تحمل أسماء السلاطين والأمراء وشعاراتهم ، ولذا حظيت تلك المشكاوات الزجاجية بمكانة دينية لها شأنها على مر العصور ، كما أولاها المؤرخون وعلماء الفنون والآثار اهتماما كبيرا لأهميتها الفنية والتاريخية[١٣].

المشكاوات الزجاجية في عصر المماليك :

إن معظم الأعمال الزجاجية التي وجدت في مصر تنتمي إلى القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) وتشتمل على مشكاوات عملت خصيصا للمساجد في القاهرة ، وكلها توضح احتمال أن الصناع قد كانوا خبراء في نفخ الزجاج بحيث يستطيعون إنتاج أوعية مختلفة الأحجام، فقد ورث صناع الزجاج في مصر وسوريا في عصر الأيوبيين والمماليك التقاليد الفنية الراقية التي كانت في العصر الفاطمي خاصة الأساليب الصناعية المختلفة مثل طريقة النفخ blowing واستخدام القالب و الزخرفة ، بالإضافة إلى القطع والطبع والتذهيب والتلوين والبريق المعدني ، حتى أن هؤلاء الصناع في العصر المملوكي تفوقوا في فن تمويه الزجاج بالمينا والذهب[١٤]

والمشكاوات التي عملت لتعلق في مساجد القاهرة في العصر المملوكي تعد أكبر مجموعة من التحف المذهبة والمطلية بالمينا في ذلك العصر وقد صنعت حسب رغبات السلاطين والأمراء المماليك ، ويحمل الكثير من هذه المشكاوات أسماء بعض هؤلاء السلاطين والأمراء مما يجعل من السهل تأريخها تأريخا صحيحا ، وقد استخدم الطلاء بالمينا أحيانا كأرضية وأحيانا أخرى كعناصر زخرفية والألوان المعتادة هي الأزرق والأخضر والأصفر والأحمر المصفر والأبيض١٥.

أشكال المشكاوات :

اغلب المشكاوات التي وصلتنا تتكون من ثلاث أجزاء رئيسية ، الرقبة : وهى مخروطية الشكل ذات فوهة متسعة تستدق قليلا عند التصاقها بالبدن ؛ أما البدن : فهو إما كروي أو بيضاوي أو يكون منتفخا في الوسط ومسحوبا من أعلى ومن اسفل ، والجزء الثالث هو القاعدة : وهى مخروطية كذلك على شكل قمع مقلوب١٦ .

---

[١٢] من مقابلة مع الدكتور محمد عبد الرحمن فهمى ، القاهرة فى . ٢٠ اغسطس ٢٠٠١ .

[١٣] رمضان عوض رمضان : مرجع سابق ، ص ٥٢ .

[14] LANE POOLE , Stanley : Art of the Saracens in Egypt , London ,1886.pp207-208

[١٥] ديماند ، م. س : الفنون الإسلامية (ترجمة احمد عيسى) ، القاهرة ، ١٩٨٢ ، ص ٢٤٢ . وانظر ايضا ، زكى محمد حسن : فنون الإسلام ، ط١ ، القاهرة /١٩٤٨، ص ٦٠٣

[١٦] سعاد ماهر : الفنون الإسلامية ، ص ص ١٦٤ – ١٦٥ .

وقد كانت المشكاوات تزود غالبا في القرن السابع الهجري (١٣م) بثلاث مقابض فقط للتعليق ، ثم أصبحت تزود في القرن الثامن للهجرة (١٤م) في معظم الأحيان بستة مقابض للتعليق١٧ .
وقد عرف العصر المملوكي عدة أشكال للمشكاوات ، كان أهمها شيوعا ذلك الشكل الذي يشبه إناء الزهور (المزهرية) ، وكانت المشكاة إما مزودة في القاع بأنبوبة رأسية قصيرة من الداخل لتثبت فيها الذبالة (الفتيلة) أو مدلاة بداخلها قراية صغيرة ، تكون غالبا بهيئة كوب الزجاج الصغير مخروطي الشكل متسع الفوهة١٨.

طرق تشكيل المشكاوات الزجاجية في العصر الإسلامي :

- تشكيل المشكاوات الزجاجية بالنفخ في الهواء دون الاستعانة بقالب :

هذه الطريقة كانت تعطى أشكالا زجاجية ذات جدار قليلة السمك ورقيقة واقل انتظاما في الشكل من طريقة النفخ في القالب ويتميز زجاج هذه الطريقة بوجود فقاقيع هوائية منتشرة في معظم أجزاء الجسم الزجاجي ، وهى طريقة تعتمد على مهارة الصانع وخبرته التي تمكنه من التحكم في شكل الآنية .

- تشكيل المشكاوات الزجاجية بالنفخ في قالب :

وهذه الطريقة من أهم الطرق التي استخدمت في صناعة معظم مشكاوات العصر المملوكي وقد سهلت هذه الطريقة من إنتاج المشكاوات في صورة مجموعات متشابهة من حيث الشكل تكون اكثر جمالا وانتظاما واكثر سمكا من طريقة النفخ في الهواء . وعلى الرغم من أننا لم يصلنا نماذج لقوالب نفخ المشكاوات ألا انه يمكننا القول على أساس ما وصلنا من قوالب لصب العملة والحلي برغم الاختلاف الواضح بينهما[١٩] .

الأفران الخاصة بصناعة المشكاوات الزجاجية المزخرفة بالمينا والمموهة بالذهب:

تم العثور على مثال نادر لتلك الأفران ، وذلك من خلال ما عثرت علية مصلحة الآثار بالفسطاط، والتي ظنته فرنا للخزف مع ما بينهما من اختلاف كبير[٢٠]، وذلك لان المشكاوات الزجاجية والأواني المزخرفة بالمينا والمموهة بالذهب كانت تحتاج إلى أفران خاصة ؛ حيث أن المينا والذهب يحتاجان لتثبيتهما على الزجاج إلى نظام خاص من الأفران[٢١] .

طريقة زخرفة المشكاة بالمينا وتمويهها بالذهب

تعريف المينا :

المينا أو المينوmina or mino هي كلمة فارسية قديمة كانت تستخدم بعدت مدلولات ، قد اصطلح فنيا في عصرنا الحديث على أن تطلق كلمة " مينا " على المادة الزجاجية المسحوقة الشفافة أو المعتمة التي تستخدم في زخرفة الدوائر المعدنية أو الزجاجية بإضافة الأكاسيد الملونة لها فالمينا هي مادة زجاجية التركيب تعرف بالإنجليزية ب enamel وبالفرنسية email ، وتستخدم بهيئة مسحوق يتركب أساسا من سليكات البوتاسيوم وأكسيد الرصاص ، وهى تختلف باختلاف المواد الداخلة في تركيبها ؛ فهي أما شفافة أو معتمة ويمكن إعطائها الألوان المختلفة باختلاف عن طريق إضافة بعض الأكاسيد الملونة اليها ، وتستخدم مادة لاصقة مثل الغراء لتثبيتها على الآنية حتى يتم تزجيجها في الفرن [٢٢].

التمويه :

---

[١٧] مايسة محمود داود : مرجع سابق ، ص ، ص ٢٩٥ – ٣١٤ .
[١٨] عن اشكال المشكاوات فى العصر المملوكى راجع مايسة داود المراجع السابق ، ص ص ٢٩٥ – ٣٠٥
[١٩] راجع : رمضان عوض رمضان : مرجع سابق ، ص ص ٦٣-٦٢ .
[٢٠] مايسة محمود داود : مرجع سابق ص ٥٥٦ .
[٢١] راجع رمضان عوض رمضان : مرجع سابق ، ص ص ٦٥-٦٤ .
[٢٢] مايسة محمود داود : مرجع سابق ، ص ٢٤٥ .

التمويه في قواميس اللغة مقصور على الزخرفة بماء الذهب والفضة فيقال موه أو مهى أو ماه يميه ميها وماهة ، ولا يجب ان يسمى التمويه بالذهب طلاء بالذهب ؛ لان كلمة طلاء لا تطلق سوى على طريقة واحدة من طرق الزخرفة بالذهب ألا وهى الزخرفة بمحلول او بماء الذهب وبما ان الذهب قد استخدم فى الزخرفة بصورة رقائق أيضا ؛ لذلك فان كلمة التمويه هى اعم واشمل ، بل واصلح لأن تطلق على الزخرفة بالذهب بجميع انواعه ، وبناء على ما سبق يجب ان نقول : المشكاوات المزخرفة بالمينا والمموهة بالذهب .

ولم يقتصر استخدام المينا على زخرفة الأواني او المشغولات الزجاجية ، بل استخدمت المينا فى زخرفة المعادن المختلفة أيضا كالذهب والفضة[٢٣].

أساليب تمويه الآثار الزجاجية بالذهب فى العصر الإسلامي

من الملاحظ أن معظم مشكاوات القرن الثالث عشر الميلادى وبعض مشكاوات القرن الرابع عشر الميلادى ما زالت محتفظة بتذهيبها ، اما معظم مشكاوات القرن الخامس عشر الميلادى فقد زال تذهيبها تاركا وراءه بعض الآثار الدالة على وجوده ، ولعل ذلك يرجع الى ان الفنان المسلم قد اتبع فى تمويه مشغولاته الزجاجية بالذهب طريقتين من التذهيب هما:

التذهيب على الساخن :

وهذا النوع من التذهيب يكون اكثر ثباتا ولا يزول بسهولة هو ما يشاهد على مشكاوات القرن الثالث عشر واوائل القرن الرابع عشر الميلادى٢٤.

وعن هذه الطريقة يقول د . محمد فهمى : هى طريقة تدخل التذهيب فى جزئيات الزجاج وتفاعلها معه يترك طبقة لامعة بارزة بعض الشيء عن سمت السطح وذلك بالتسخين ، اى بالحرق مرة أخرى ، ويكون التسخين تدريجيا والتبريد تدريجيا وليس مفاجئا حتى لا يتكسر من جراء السخونة او البرودة المفاجئتين وقد شاع استخدام هذه الطريقة فى أوروبا منذ القرن ١٦م ، وبدء استخدامها فى كل من فرنسا وإيطاليا على المشكاوات الزجاجية فى القرنين ١٨ ، ١٩م ؛ ومن هنا نجد ان محمد على واسرته قد اتجهوا الى المصانع الخاصة فى بوهيميا ، وبعض البلاد ألاوربيه مثل فرنسا للحصول على مقتنياتهم الخاصة من الزجاج من هذه المصانع ، وفى عهد عباس حلمى الثانى والطفرة التى قام بها من بناء وترميم واستكمال لعدد من المساجد والدور الإسلامية ؛ فقد صنعت مشكاوات فى فرنسا لهذه المنشات تحاكى فى بعض الأحيان المشكاوات المملوكية وان اختلفت عنها فى الخامة وطرق الصناعة وتنفيذ الزخارف واسلوبها٢٥ .

التذهيب على البارد :

فى هذه الحالة تتم إضافة محلول الذهب كطلاء على الأماكن المراد زخرفتها دون خلق طبقة تزجيج وسيطة ، ودون إدخال الآنية الفرن ، وهذا النوع من التذهيب يكون معرضا للزوال على مر الزمن؛ خاصة عند تعرضه لظروف جوية غير مناسبة ويعتقد ان هذا النوع من التذهيب استخدم فى تذهيب مشكاوات أواخر القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين[٢٦].

أماكن صناعة المشكاوات الزجاجية المزخرفة بالمينا والمموهه بالذهب :

كان من المعتقد ان المشكاوات عموما كانت تصنع خارج مصر ، ولكن ثبت بالتحليل العلمى ، أن زجاج المشكاوات يحتوى على نسبة من الماغنسيوم مثله مثل الزجاج المحقق صناعته فى مصر وذلك

---

[٢٣] مايسة داود : مرجع سابق ص ص ٢٤٥ – ٢٤٨ .

[٢٤] رمضان عوض رمضان : مرجع سابق ، ص ص ٥٠ – - ٥١.

[٢٥] رأى الدكتور محمد عبد الرحمن فهمى .

[٢٦] رمضان عوض رمضان : مرجع سابق ، ٥١ .

على عكس غيره من الزجاج المصنوع من رمال غير مصرية ، لا تشتمل عل مغنيسيوم، وهذا يؤكد صناعة المشكاوات المملوكية فى مصر [٢٧].

وقد اختلف مؤرخو الفنون الإسلامية فى تحديد الإقليم الذى صنعت فيه المشكاوات فمنهم من ينسبها الى مصر ، ومنهم ينسبها الى سوريا ويقول الدكتور زكى محمد حسن فى هذا الشان : " ان مصر والشام كانتا فى عصر المماليك كما كانتا فى معظم عصور التاريخ جزأين من حكومة واحدة ، وان كلا القطرين الشقيقين كانت له منذ العصور القديمة شهرة واسعة فى إنتاج الزجاج ، وإننا لا نرى سببا لان تتركز صناعة المشكايات فى مصر دون الشام او العكس ، ولا سيما ان هذه التحف النفيسة والباهظة النفقات كانت سهلة الكسر ، فالراجح إذا أن صناعة المشكايات الزجاجية قد اشتهرت فى البلدين معا ، وان كليهما كان يصنع ما يحتاج إلية من هذه التحف" [٢٨].

اساليب زخرفة المشكاوات الزجاجية الإسلامية:

كانت الزخارف على المشكاوات تتمثل فى الأشرطة التى بها كتابات ومناطق او جامات أو رنوك ، هذا بجانب الموضوعات النباتية والهندسية مع رسم طيور فى بعض الأحيان ، وفى بعض الأحيان الأخرى كان يغطى سطح المشكاة كله او أجزاء كبيرا منه الزخارف النباتية والزهور مثل زهرة اللوتس والزنبق وغيرهما من الزهور التى ترسم بألوان مختلفة ، وبالنسبة للكتابات على المشكاوات فمعظمها آيات قرآنية مثل " الله نور السماوات والأرض ... " (النور-٣٥) وبجانب الآيات القرآنية كانت توجد عبارات تاريخية او دعائية مكتوبة بخط النسخ المملوكى ، والملاحظ ان الأخطاء الخطية شائعة فى كتابات المشكاوات ، وهو الأمر الذي لم يكن منتظرا فى مثل تلك التحف النفيسة [٢٩].

وعندما نشاهد المشكاوات المزخرفة بالمينا والمموهة بالذهب يتبادر الى ذهننا سؤال تحتاج الإجابة عليه التروى والحذر ، وهذا السؤال هو : هل كانت هذه المشكاوات بشكلها وزخرفتها الجميلة نتيجة جهود مشتركة قام بها كل من الصانع والمزخرف والمذهب والخطاط ، أم إنها جاءت نتيجة عمل فردى ؟

والواضح لنا ان صانع المشكاة غير مزخرفها ، وربما أيضا غير خطاطها او مذهبها ، اذ انه من النادر ان تجتمع وتتوافر كل هذه المواهب فى شخص واحد وهو الصانع[٣٠].

وفى مجموعة مشكاوات مسجد الإمام الحسين نجد الاختلاف الواضح فى اسلوب خط كتابات الرقبة عن كتابات البدن ، فبينما نجدها فى الرقبة مكتوبة بخط ثلث رفيع ركيك ، نجدها مكتوبة على البدن بخط رشيق وجميل مما يرجح معه ان من قام بالكتابة على الرقبة غير الذى كتب الكتابات التى على البدن ، ومما نصل معه الى حقيقة هامة هى : ان المشكاة عمل متكامل كان يشترك فى إخراجه الى حيز الوجود نخبة من الفنانين[٣١].

وربما فسر لنا تعدد القائمين على صناعة المشكاة وزخرفتها ندرة ما وصلنا من توقيعاتهم على هذه المشكاوات ، إذ من يوقع فيهم اسمه ومن لا يوقع ؟ وخصوصا انهم جميعا يقومون بجهد وافر يكمل فيه كل منهم الأخر ، بجانب ان هذا الفن بالذات كان خاصا بالمملوك والسلاطين والأمراء والفنان الوحيد الذى ورد اسمه على المشكاوات المملوكية هو " على بن محمد أمكى " أو "الرمكى " حيث جاء توقيعه على مشكاتين الأولى باسم الأمير (ألماس) بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة ؛ حيث كتب عليها " عمل

---

[٢٧] حسن الباشا : المرجع السابق ، ص ٢٦١ .

[٢٨] زكى محمد حسن : مرجع سابق ، ص ٦٠٨ .

[٢٩] زكى محمد حسن : مرجع سابق ، ص ص ٦٠٤ – ٦٠٥.

[٣٠] مايسة محمود داود : مرجع سابق ، ص ٤١٨ .

[٣١] مايسة محمود داود : نفس المرجع السابق ، ٤٦٨ .

العبد الفقير على بن محمد أمكى غفر الله " (ويمكن ان تقرأ الرمكى أو المكى)، والثانية باسم الأمير(سيف الدين قوصون) بمتحف المترو بولتان بنيويورك [٣٢].

ومما يدعو الى الدهشة حقا ان نجد على المشكاوات المملوكية رسوم معينة عرفت فى العصر المملوكى باسم (الرنوك) ، وهى الشارات التى اختص بها السلاطين والأمراء وكبار رجال الدولة والرنك كلمة فارسية وقد استعمل المماليك هذه الكلمة فى سوريا منذ القرن الخامس الهجرى(الحادى عشر الميلادى) ، للدلالة على الشارة او الشعار او العلامة التى يتخذها الشخص لنفسه وينفرد بها دون غيره وذلك عند تأمير السلطان له ، والرنك قد يكون من لون واحدا او اكثر من لون وهو اما بسيط (اى يحتوى على علامة او اكثر على الشطب او على الرنك مباشرة إذا لم يكن بوسطه شطب) واما مركب (يحتوى على عدد كبير من الشارات)[٣٣].

وقد كانت اروع التحف الزجاجية السورية مشكاوات او قنينات وكلها عليها زخارف لشغل اليد عبارة عن جامات او رنوك وعليها كتابات وأشكال زخرفية محورة ويزدان معظم البدن بالأشكال الوردية والرنوك الإسلامية ذات العلامات كانت إما دائرية الشكل كما فى المشكاوات او مدببة على القاعدة مثل الموجود على القنينات [٣٤] ولقد اختفت الرنوك تماما فى مصر خلال القرن السادس عشر عندما حدث الغزو العثمانى ، وقد كانت كثرة الرسوم الرمزية فى الرنوك الأخيرة إيذانا ببداية انتهائها[٣٥]ولقد تفوق صناع الزجاج في عصر المماليك فى فن الزخرفة بالمينا والتمويه بالذهب وبصفة خاصة فى فن المشكاوات ، وليس من شك فى ان الطابع الفنى الرفيع الذى امتاز به مجتمع دولة المماليك بعامة كان له أثره فى تقدم هذا الفن التطبيقى شانه شان غيره من الفنون التطبيقية التى ازدهرت فى هذه الدولة ازدهارا كبيرا وكان لاشتداد الطلب على المشكاوات والحاجة إليها ان ادى ذلك بدوره الى الاهتمام بهذه الصناعة والى ظهور عدد من صناعها جمعوا بين المهارة التطبيقية والذوق الفنى كما يشهد بذلك ما وصلنا من إنتاجهم [٣٦]

ويضم متحف المترو بوليتان حوالى ثلاثه عشرة مشكاة ، منها اقدم مشكاة معروفة عملت لضريح الأمير (ايدكن البندقدارى) المتوفى ١٢٨٥م

ويمتلك متحف الفن الإسلامي بالقاهرة اكبر مجموعة من المشكاوات الزجاجية المزخرفة بالمينا والمموهة بالذهب ، بخلاف المشكاوات الخالية من الزخارف ، واقدم مشكاة موجودة بهذا المتحف هى باسم السلطان الملك الاشرف خليل المتوفى ٦٩٣ هجرية (١٢٩٣- ١٢٩٤م) [٣٧]. (رقم السجل ٢٦٤).

وتعتبر مشكاوات السلطان حسن من اجمل ما وصلنا من مشكاوات العصر المملوكى التى تمثل ما بلغة فن صناعة المشكاوات وزخرفتها بالمينا وتمويهها بالذهب من رقى وازدهار [٣٨].

ولابد ان نشير الى انه كانت هناك مشكاوات خاصة لإنارة القصور والمنازل ولكن ما وصلنا منها قليل إذا قيس بما وصلنا من أعداد كبيرة من مشكاوات المساجد والأضرحة والخانقاوات ، مع ملحظة ان

---

[32]– Wiet , Gaston : catalogue du Musee arabe lampes et Bouteilles en verre emalle , le caire , 1929,pp123-124.

انظر ايضا : رمضان عوض رمضان ، مرجع سابق ، ص ص ٦٥-٦٦ .

[٣٣] احمد عبد الرازق : الرنوك على عصر سلاطين المماليك ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ٢١ ، ١٩٧٤ ، ص ٦٧ .

[34]–Arnold, Thomas and guillaume, Alfred (eds) : the legacy of Islam , oxford university press , 1952,pp131-132.

٣٥ حسين راشد : الرنوك فى مصر فى العصور الوسطى ، مجلة السياحة ، ديسمبر ١٩٨٥ ، ص ٢٥ ، ٢٩ .

٣٦ رمضان عوض رمضان : مرجع سابق ، ٦٦ .

٣٧ زكى محمد حسن : مرجع سابق ، ص ٦٠٦ وأيضا سعاد ماهر : مرجع سابق ، ص ١٦٤

٣٨ مايسة محمود داود : مرجع سابق ، ص ٥٥٤ .

الزخارف على هذه المشكاوات الخاصة بالقصور والمنازل تتميز بالتحرر، وتعتمد على الرسوم الآدمية والحيوانية ، مع انها تشبه مشكاوات المساجد من حيث الشكل
أما مشكاوات الكنائس فكانت تختلف فى شكلها عن المشكاوات الخاصة بالمساجد؛ فهي تتألف من رقبة قصيرة مخروطية متسعة الفوهة ذات بدن كروى او بيضاوى يتصل بقاعدة مكونة من حلقات متتالية تستدق الى اسفل ، وزخارفها عبارة عن أقراص زجاجية مضافة تمثل رؤوسا لحيوانات او أشخاص بسحنة قبطية ، يظهر بها التأثر بالفن اليونانى والرمانى ، وقد بلغ من اهتمام السلاطين والأمراء المماليك بالمنشأت الدينية والحرص على إنارتها انهم خصصوا أحيانا فى المسجد او المنشأة مكان لتحفظ به المشكاوات والأدوات الخاصة بإيقادها وإطفائها وتنظيفها وانزالها او تعليقها ، وكان هذا المكان او الحجرة يسمى (بيت او حاصل القناديل) ، كما كان يوجد مكان لتخزين زيت المشكاوات يسمى (بيت او حاصل الزيت) ، وكان الشخص الذى يتولى حفظ الزيت وتوزيعه على الوقادين يسمى أمين الزيت ٠ ومن اهم الزيوت المستخدمة فى إضاءة المشكاوات فى مصر زيت الزيتون وكانت مصر تستورده من بلاد الشام لانه من أنقى الزيوت صلاحية للاستعمال والإضاءة ؛ حيث انه لا يتخلف عنه دخان يلوث المكان [٣٩]٠
وقد كانت وظيفة الوقاد من الوظائف الهامة التى يشترط فى صاحبها شروطا معينة كالأمانة والتدين والهمة والعفة ، ويتقاضى مرتبا شهريا عن وظيفته يضاف إليها المنح والجرايات التى يتقاضاها فى المواسم والأعياد ، وكان له زيا خاصا به ، ويعين عليه من يقوم بمراقبته والإشراف عليه ، وأحيانا كان يخصص له سكنا بالمسجد او الخانقاة ليباشر مهام وظيفته عن كثب [٤٠]

مسجد الرفاعى :

هذا المسجد يقع تجاه مدرسة السلطان حسن وهما يناهضان القلعة سموا وارتفاعا وكلاهما ينبئ عن عظمة البناء وفخر العمارة الإسلامية فى العصرين القديم والحديث ومنهما يتكون منظر من أروع المناظر الأثرية ٠
ويقول عنه على باشا مبارك فى خططه : " هذا الاسم يطلق الان على البناء الشاهق المقابل لمدرسة السلطان حسن ٠٠٠٠ أمرت بإنشائه الست خوشيا والدة الخديو إسماعيل ولكنه لم يعرف بأسمها ، بل بقى معروفا باسمه القديم الذى كان للزاوية التى بنى فى محلها " ٠ [٤١]
وكان بمكان هذا المسجد قبل بنائه مسجد من العصر الفاطمى يعرف بمسجد الذخيرة الذي انشأه ذخيرة الملك جعفر متولي الشرطة ووالى القاهرة ومحتسبها حوالى ٥١٦ هجريه – ١١٢٢م ، كما كانت هناك زاوية عرفت بالزاوية البيضاء وبزاوية الرفاعى وفى عام ١٢٨٦ هجريه – ١٨٦٩م أمرت خوشيار هانم والدة الخديو إسماعيل بتجديد زاوية الرفاعى واشترت الأماكن المجاورة لها وهدمتها وكلفت حسين باشا فهمي وكيل الأوقاف بأعداد مشروع لبناء مسجد كبير تلحق به مدافن لها لأسرتها مع قبتين للشيخين على أبى شباك ويحيى الأنصاري ، وهذا المسجد وان عرف بالرفاعى فهو نسبة ألي الشيخ على أبى شباك حفيد الرفاعى الكبير ٠
وتبلغ مساحة المسجد ٦٥٠٠ متر مربع منها ١٧٦٧م هي المساحة المخصصة للصلاة وبقية المساحة خصصت للمدافن وملحقاتها [٤٢](شكل ١)

---

٣٩ مايسة محمود داود : مرجع سابق ص ص ٨٣- ٩٤
٤٠ مايسة محمود داود ، نفس المرجع ، ص ٥٥٣
٤١ على مبارك : الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها الشهيرة ، ج ٤ ، القاهرة ١٩٨٢ ، ص ٢٣٧
٤٢ حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٩٤ ، ص ٣٦٣ ، وانظر عن مسجد الذخيرة كل من المقريزى : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ج٣ ، بولاق ، ١٢٧٠ هـ ، ص ٣٩٥ ٠ وابن عبد الظاهر : الروضة البهية الزاهرة في خطط المعربة القاهرة (حققه وقدم له وعلق عليه د٠ ايمن فؤاد سيد) ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٩٦ ، ص ١٠٠ ٠

وعندما رؤى إدخال بعض التعديلات على المشروع الذي أعده حسين باشا فهمي أوقفت العمارة وظل العمل متوقفا خاصة وان المنشئة قد توفيت عام ١٣٠٣هـ ١٨٨٥م ، وظل العمل موقوفا نحو ربع قرن حتى أمر الخديو عباس حلمي الثاني في عام ١٩٠٥م بإكمال المسجد تحت أشراف هرتس باشا [٤٣]
وفى ختام سنة ١٣٢٩ هجرية – ١٩١١ م تم العمل وافتتح المسجد بصلاة الجمعة فى غرة ١٣٣٠ هجرية – ١٩١٢ م ٠
وبلغت تكلفة هذا المسجد ١٣٢٥٠٠ جنية بخلاف مصاريف أخرى ، ويدخل في هذا المبلغ ابسطه المسجد ، والتي عملت فى مشاغل هركة بتركيا ، والمشكاوات الزجاجية التي عمات على مثال المشكاوات الأثرية بمساجد مصر فى القرنين الثامن والتاسع الهجريين (الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين) ، ومنها نحو ٢٤٠ مشكاة مطلية بالمينا عملت خصيصا لهذا المسجد وعليها كتبات قرآنية وتاريخية وعن هذا المسجد يقول حسن عبد الوهاب :" وان الزائر لهذا المسجد ليؤخز بما حواه من فنون جميلة وصناعات دقيقة ، فقد وفق هرتس باشا لأن يختار له من كل أثر أحسنه فكون منه درة بين المساجد الحديثة تنتقل العين فيه من حسن الى احسن" ٤٤
وجاء في كتاب مساجد مصر عن هذا المسجد ما نصه : وعلى العموم فهذا المسجد من الداخل يعتبر من أغنى المساجد زخرفة ونقشا ، فقد عنى مهندسه بتجميله وزخرفته عناية فائقة بحيث اصبح بالصورة التي نشاهدها الآن ٤٥٠
ويمتاز مسجد الرفاعى عن غيره من المساجد بما يشتمل علية من مدافن فخمة خاصة بأفراد أسرة محمد على ، حيث يضم المسجد رفات كل من السيدة خوشيار هانم والدة إسماعيل باشا ، كما دفن بهذا المسجد عدد من أبناء وبنات إسماعيل وزوجاته ، ودفن به أيضا السلطان حسين كامل والملك فؤاد الأول وكذلك الملك فاروق وحديثا دفن محمد رضا بهلوى شاه إيران الذي توفي في مصر ٤٦

الخديو إسماعيل :
هو إسماعيل بن إبراهيم بن محمد على ، وهو ثاني أنجال إبراهيم باشا من والدة غير والدتى أخويه الأميرين احمد رفعت مصطفى فاضل ، ولد في قصر المسافر خانة (بالجمالية) بالقاهرة في ٣١ ديسمبر ١٨٣٠م ، وعنى والده بتربيته و تعليمه ، فدرس عدة لغات منها العربية والتركية والفارسية ، وعندما التحق بالبعثة المصرية في باريس أتقن الفرنسية كتابة وكلاما ، وقد بهرته باريس وما شاهده فيها من الروعة والجمال حتى أنه عندما تولى الحكم في مصر بعد وفات سعيد باشا نجده بذل قصار جهده في جعل القاهرة باريس ثانية . ٤٧

وبعد أن أل الي إسماعيل حكم مصر فى يناير ١٨٦٣م حاول السير على نهج جده محمد على ، فبدأ بأجراء مفوضات هامة بخصوص إكمال قناة السويس (باعتباره نائبا للسلطان – واليا) التي انتهى حفرها تقريبا عام ١٨٦٩م ، واحتفل إسماعيل بهذا الحدث في نوفمبر من نفس العام ٤٨كما واصل

---

٤٣ حسن عبد الوهاب : جامع السلطان حسن وما حوله ، المكتبة الثقافية ، العدد ٥٦ (مارس ١٩٦٢) ، ص ص ٢٥-٢٦ ٠
٤٤ حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ، القاهرة ١٩٩٤ ، ص ٣٦٨ ، وأيضا كتابة : جامع السلطان حسن وما حوله ٠، مرجع سابق ، ص ٣٢
٤٥ مساجد مصر من سنة ٢١هـ ألي سنة ١٣٦٥ هـ ، ج٢ ، وزارة الأوقاف ، الجيزة ، ١٩٤٨ ص١٤١ ٠

٤٦ حسن الباشا : موسوعة العمارة والأثر والفنون الإسلامية ، المجلد الأول ، بيروت ، ١٩٩٩ ، ص٣٥٩ ٠

٤٧ عبد الرحمن الرافعى : عصر إسماعيل ، ج ٢ ، القاهرة ١٩٨٢ ، ص ٧٤

[48]– the new encyclopedia Britannica, vol.6, Chicago 1991,p414

إسماعيل عمله على تحديث مصر والاستقلال بها عن الإدارة العثمانية حتى تمكن من الحصول على لقب خديو * مصر عام ١٨٦٧ كما جعل وراثة العرش في أنجاله ٤٩

ومن إنجازاته الهامة إنشاء مجلس النواب عام ١٨٦٦ والذي اصبح لأعضائه – رغم كونه استشاريا – تأثيرا ونفوذا قويين على الشؤون الحكومية [٥٠]

كما قام بتوسيع أملاك مصر في أفريقيا ، واكمل فتح السودان حتى وصل بحدود مصر ألي منابع النيل وشواطئ المحيط الهندي [٥١]

واستعان بالأمريكيين والأوروبيين لادارة الشؤون العسكرية والإدارية لهذه المهمة ٥٢

كما انشأ الكثير من المدارس العالية ، وانشأ دار الكتب والمتحف المصري ودار الآثار العربية والجمعية والجغرافية ، كما انشأ العديد من القصور أهمها قصر عابدين الذي نقل أليه مقر الحكم بدلا من سراي القلعة ، كما عمر المسجد الحسيني واصلح ميدان الرميلة ، ووسعه وغرس به الأشجار ٥٣

ولما كانت كل من بريطانيا وفرنسا تعتقدان أن إسماعيل هو الذي كان وراء انبعاث الحركة الوطنية المصرية المطالبة بإنهاء التدخل الأوروبي المالي والإداري والسياسي في شؤون البلاد ،لذا فقد لجأت الدولتان – ومعهما ألمانيا البسماركية – الي مطالبة الباب العالي بعزل إسماعيل ، وهو الأمر الذي تحقق في ٢٦ يونيه ١٨٧٩م وتم نفيه الي نابولي بإيطاليا ٥٤

وعندما توفى إسماعيل باشا في منفاه الأخير باستنبول (٢مارس ١٨٩٥م) ، كان يحكم مصر آنذاك حفيده عباس حلمي الثاني الذي اكمل بناء مسجد الرفاعى واكمل القبة التي دفن فيها الخديو إسماعيل ، وهكذا استقر الخديو إسماعيل ودفن في مصر في ثرى مصر معشوقته ، بعد أن صال وجال وترك لنا في كل مكان من ارض مصر بصمة حضارية أو ثقافية أو فنية أو معمارية يشهد لها التاريخ ٠ ٥٥

---

*.(خديو) كلمة فارسية ترتفع بالملقب بها ألي مرتبة الملوك والسلاطين ، وهى اقل من الخلافة و أعلى من الوزارة ، ومنذ ٨ يونيو ١٨٦٧م اصبح لها استعمال واحد في الإمبراطورية العثمانية وهو للدلالة على حاكم مصر ، واصبح إسماعيل بذلك أول حاكم من اسرة محمد على يحصل على هذا اللقب بصفة رسميه حيث ان محمد على قد منح اللقب لنفسه دون انتظار منه له رسميا من قبل السلطان حيث نرى هذا اللقب ضمن ألقاب محمد على بنص سبيله بالعقاد ين ١٢٣٦ هـ ، بل أطلق عليه بنص تأسيس مدفن محمد شريف بك قبل هذين التاريخيين سنة ١٢٣١هـ ، وربما منح محمد على هذا اللقب لنفسه للتعبير عن وضعه كحاكم متميز مما يؤكد أن السلطان بمنحه هذا اللقب لإسماعيل إنما كان يقر حقيقة واقعة ليس اكثر ٠ راجع : (ناصر الانصارى : حكام مصر من الفراعنه الى اليوم ، القاهرة ،١٩٨٧، " حاشية ص-٢٣ وايضا مصطفى بركات : الالقاب والوظائف العثمانية ، دراسة فى تطور الالقاب والوظائف منذ الفتح العثمانى لمصر حتى الغاء الخلافة العثمانية " من خلال الاثار والوثائق والمخطوطات " ١٥١٧ الى ١٩٢٤م ، القاهرة ٢٠٠٠ ، ص-٣٠٧)

٤٩ ناصر الأنصاري : حكام مصر من الفراعنة ألي اليوم ، القاهرة ،١٩٨٧ ، ص٢٣ ٠

٥٠ - The new encyclopedia Britannica, op .cit , p415.

٥١ عبد الرحمن الرافعى : عصر إسماعيل ،ج٢ ، القاهرة ١٩٨٢ ، ص٣٠٤ ٠

52THE NEW encyclopedia , op .cit.

٥٣ عبد الرحمن الرفعى : عصر إسماعيل ، مرجع سابق ، ص ، ص ٢٦ ، ٣٠٤

٥٤ السيد رجب حراز : الأزمة المالية في عهد الخديو إسماعيل أسبابها ، تطورها ، نتائجها ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، المجلد ٢٧ ، ج ١ ، ٢ (مايو وديسمبر ١٩٦٥) ، ص ٥٠

٥٥ حسين كفافى : الخديو إسماعيل ومعشوقته مصر ، القاهرة ، ١٩٩٧ ، ص ٢٠٤

المشكاوات الزجاجية الثلاثة موضوع البحث ٠

ثلاث مشكاوات من مسجد الرفاعى

هذه المشكاوات عثر الباحث عليها عندما كان يعمل مفتشا للآثار بمسجد الرفاعى بالقاهرة عام ١٩٩٩م ، ونظرا لأهمية هذه المشكاوات من الناحيتين الفنية والتاريخية ؛ وكذا لما تمثله من حقبة مهمة من حكم أسرة محمد على ؛ فقد رأى المجلس الأعلى للآثار تسليم هذه المشكاوات الثلاثة ألي متحف الأمير محمد على بقصر المنيل ، وبالفعل تم تسليمها الي متحف قصر المنيل فى ٢٤ / ١٠ / ١٩٩٩م

(لوحة رقم ١)

المشكاه الأولى وهى برقم مؤقت (١ هـ) :

المقاسات :

قطر فوهتها ٥، ٢٣سم ٠

ارتفاع المشكاة ٥، ٣٤سم ٠

(لوحة ٢)

وهى عبارة عن مشكاة من الزجاج نصف الشفاف المزخرف بالمينا عملت على مثال المشكاوات المملوكية وهى كبيرة الحجم بالنسبة للمشكاتين الثانية والثالثة ولهذه المشكاة كرة فقد جزء منها وهى من نفس الزجاج المصنوعة منه المشكاة عليها بعض الزخارف بنفس الألوان التي زخرفت منها المشكاة ، ولهذه المشكاة بعض السلاسل من النحاس الأصفر وهى بحالة سيئة مما أصابها من الصدا ٠

(لوحة ٣)

التوصيف الزخرفي للمشكاة الأولى (١هـ)

أولا الرقبة :

الرقبة ذات فوهة متسعة وعليها زخارف كتابية بخط النسخ المملوكى منفذة باللون الأحمر وحددت الحروف باللون الأزرق ٠

ونص الكتابة " الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى " (النور ـ٣٥) ٠

وهذه الكتابة محصورة بين شريطين بنفس اللون الذي كتبت به الآية القرانية٠

(لوحة ٤)

ثانيا البدن :

البدن مثبت به عدد ستة مقابض كانت تعلق منها المشكاة بواسطة سلاسل ، ويزين بدن المشكاة شكل لوزى حول كل مقبض من المقابض الستة ، وبين كل مقبض والأخر توجد زخرفة عبارة عن خرطوش مجدول فى الأطراف ومتصل بالشكل اللوزى ، ويزخرف هذه الخراطيش زخا رف نباتية منفذة باللونين الأحمر والأزرق ، كما يزين البدن أيضا رسوم دوائر صغيرة بلون المينا الحمراء تدور حول بدن المشكاة والجزء السفلي من البدن علية كتابة قرآنية بخط النسخ منفذة بلون المينا الزرقاء ، والحروف محددة بلون المينا الحمراء ٠ (لوحة ٥)

ونص الكتابة " يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية " ثم يأتي خرطوش باسم عباس حلمي الثاني وهو خرطوش منفذ بالمينا الحمراء مقسم الي ثلاث أقسام

القسم الأوسط نصه (عباس حلمي الثاني)٠

القسم العلوي نصه (عز لمولانا الخديو)٠

القسم السفلي نصه (أدام الله أيامه)٠

وبعد الخرطوش يأتي النص القرآني الذي يلي النص السابق " ولا غربية يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار " ، ثم نجد خرطوش عباس حلمي الثاني مرة ثانية وبعده يأتي النص التالي من الآية الكريمة " نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء " النور ـ٣٥ ٠
ثم نجد خرطوش الخديو عباس حلمي الثاني مكرر للمرة الثالثة بنفس الشكل والألوان

ثالثا القاعدة :
هي عبارة عن قاعدة منخفضة يزخرفها شريط منفذ بالمينا الزرقاء بالإضافة لعدة خطوط بالمينا الحمراء (انظر اللوحة رقم ٢) ٠

المشكاتان الثانية والثالثة (مشكاتا مقبرة الخديو إسماعيل) :
وهما اصغر حجما من المشكاة ، الأولى وهما من الزجاج المزخرف بالمينا والمموه بالذهب ، وكل منهما صورة طبق الأصل من الأخرى ، وتحملان رقمين مؤقتين هما : ٢هـ ، ٣هـ
المقاسات :
قطر الفوهة في كل منهما ١٧سم٠
ارتفاع كل من المشكاتين ٣٠سم ٠

الوصف الزخرفي للمشكاتين :
أولا الرقبة :
تزدان رقبة كل مشكاة منهما بشريط زخرفي عريض عبارة عن زخارف هندسية متشابكة وهى منفذة بألوان آلمينا الزرقاء المحددة بألوان آلمينا البيضاء والحمراء على أرضية بلون ذهبي ، ويلي هذا الشريط شريطاً اعرض منه تزينه اربعة دوائر أو جامات (ميمات دائريه) جاء على أحدها خرطوش باسم إسماعيل باشا مقسم الي ثلاثة أقسام :
الأوسط : مكتوب به (إسماعيل باشا)
العلوي : مكتوب به (سنة)
السفلي : مكتوب به (١٣١٣)
(لوحة ٦)
والكتابة بلون آلمينا الحمراء على أرضية ذهبية ويحيط بالخرطوش زخارف نباتية بلون ذهبي على الرضية بلون ازرق ، والزخارف قوامها فرعين نباتيين متموجين تخرج منهما أوراق نباتية محورة ٠
وفى الجامة الأخرى المقابلة للخرطوش نجد رسم لهلال وسطه ثلاثة نجوم ، والهلال والنجوم بلون ذهبي على أرضية بلون ازرق ، ويحيط بهذه الجامة نفس الزخارف النباتية التي تحيط بالخرطوش أما الجامتين الثالثة والرابعة فمتشابهتين من حيث الألوان والزخارف والتي قوامها زخارف نباتية عبارة عن أفرع متشابكة تخرج منها أوراق وأزهار ، وهذه الزخارف رسمت باللون الذهبي ، ورسم قلب الزهرة الكبرى فيها باللون الأحمر ، وجاءت هذه الزخارف على أرضية بلون ازرق ويزخرف المساحة التي تفصل بين كل جامة من الجامات الأربع زخارف نباتية قوامها فرع نباتي تخرج منه أوراق وأزهار متعددة البتلات مختلفة الشكل واللون ، ما بين الأحمر والأبيض والأزرق على أرضية بلون ذهبي ٠

ثانيا البدن :
ويوجد على بدن كل مشكاة من هاتين المشكاتين ستة مقابض ، وإحدى المشكاتين تفقد ثلاثة من المقابض الستة الخاصة بها ، واجزاء صغيرة من البدن ، والمعروف أن هذه المقابض خاصة بالتعليق

، وقد رسم حول كل مقبض من مقابض المشكاتين شكل لوزي عبارة عن شريط من زخارف نباتية بلون ذهبي على أرضية باللون الأزرق الفيروزي ، وقوام هذه الزخارف عبارة عن فروع نباتية بها أوراق محورة ، ويزين بدن كل مشكاة بين كل مقبض و أخر زخارف نباتية عبارة عن زهور و أوراق منفذة بألوان حمراء وبيضاء وخضراء على أرضية مذهبة ،بالإضافة الي جامة كبيرة في الوسط بها زخارف نباتية محورة ، كما يحتوى البدن على توزيعات هندسية ٠ (لوحة٧) ٠

أما أجزاء البدن التي تلي القاعدة مباشرة في كلا المشكاتين فيلاحظ خلوها من الزخارف وان كانت مموهة بالذهب وقد يكون هذا بقصد جعل النور المنبعث من داخل المشكاة الي سطح الأرض نورا ساطعا ، حيث أن الزخارف الكثيفة والطلاء الذهبي على رقبة المشكاة والجزء الأكبر من بدنها ربما يحجب جزءا كبيرا من النور المنبعث من المشكاة ٠

ثالثا القاعدة :

يلاحظ أن القاعدة في كل مشكاة من هاتين المشكاتين مصنوعة من النحاس الأصفر ، ومثبتة في بدن المشكاة بعدد من المسامير ؛ حيث يسهل فك أو تركيب هذه القاعدة٠

(لوحة ٨)

خلاصة البحث :

بعد دراسة هذه المشكاوات يمكننا القول ان المشكاة الأولى ١هـ صنعت على مثال المشكاوات التي كانت تعلق في المساجد والخانقاوات والمدارس فى العصر المملوكي
وهذه المشكاة ١هـ يوجد عليها خرطوش باسم الخديو عباس حلمي الثاني مكرر ثلاث مرات وهذا بدورة يؤكد لنا أنها صنعت في عهده خاصة وان عباس حلمي الثاني هو الذي أمر بإكمال مسجد الرفاعى في عام١٩٠٥ م الي أن افتتحه بصلاة الجمعة في غرة سنة ١٣٣٠هـ (سنة١٩١٢ م) كما أن الكتابات على هذه المشكاة جاءت بخط النسخ المملوكي وبهذا يمكننا القول بان هذه المشكاة وهى من ضمن ٢٤٠ مشكاة زجاجية مزخرفة بالمينا عملت خصيصا لمسجد الرفاعى في مصانع الزجاج فى بوهيميا والتي كانت تتبع طرق التقليدية القديمة باعتبارها اسلم الطرق الفنية التي يتحكم فيها الصانع بقدر كبير في تكوين الشكل وزخرفته يدويا .
أما بالنسبة للمشكاتين ٢هـ ،٣هـ فمن المرجح انهما صنعتا خصيصا للقبة التي بها قبر الخديوي إسماعيل وقبر السيدة خوشيار والدته مع الوضع في الاعتبار أن هذه القبة كان يعلق بها ثلاث مشكاوات للإضاءة وليس مشكاتين والدليل على ذلك وجود السلسلة الثالثة التي تتدلى الان من القبة ومع أن القبة التي دفن فيها الخديو إسماعيل ملحقة بمسجد الرفاعى إلا أننا نلاحظ الاختلافات الكبيره الواضحة بين مشكاوات مسجد الرفاعى والتي منها المشكاة الأولى ١هـ وبين هاتين المشكاتين ٢هـ ، ٣هـ.
فالاختلافات جاءت من حيث الحجم والشكل والزخارف والكتابات فمشكاوات المسجد والتي منها المشكاة الأولى ١هـ ورد عليها الخرطوش الذي يحمل اسم الخديو عباس حلمي الثانى أما مشكاتى القبة ٢هـ ، ٣هـ فورد على كل منهما خرطوش باسم إسماعيل باشا خديو مصر كما لم ترد آيات قرآنية على هاتين المشكاتين كما في المشكاة ١هـ الخاصة بالمسجد التي كتب عليها " الله نور السماوات والارض٠٠٠٠٠٠) الآية ٣٥ من سورة النور" ولم يسجل على المشكاة الأولى ١هـ تاريخ شأنها شأن المشكاوات التي توجد فى المتاحف في مصر والعالم والتي تقدر بنحو ثلاثمائة مشكاة هي المشكاوات المعروفة التي تعود كلها تقريبا الي العصر المملوكي أما هاتين المشكاتين ٢هـ ، ٣هـ فقد ورد على كل منهما تاريخ سنة ١٣١٣[هـ] وهذا التاريخ هو نفس التاريخ المدون على رقبة القبة التي دفن بها الخديو إسماعيل مع والدته ونص الكتاب على رقبة القبة من الداخل (بسم الله الرحمن الرحيم . وسيق الذين أتقوا ربهم إلى الجنة زمرا ٠٠٠٠) إلى قوله تعالى (وقيل الحمد لله رب العالمين ٠ صدق الله العظيم) الزمر ٧٣ : ٧٥ (عملت هذه القبة المباركة الجنه مكان المرحوم الخديوى الأعظم إسماعيل باشا الأفخم أبن المرحوم إبراهيم باشا خديو مصر ولوالدته المرحومة خوشيار خانم في عصر خديو مصر عباس حلمي الثاني في عام ثلاثه عشر وثلاثمائه و ألف)
ونفهم من هذا النص المدون على رقبة هذا القبة أنها عملت بعد وفاة إسماعيل بعام واحد حيث ان تاريخ وفاة إسماعيل باشا والمسجل على التركيبة الرخامية التي تعلو قبره بهذه القبة هو تاريخ سنة ١٣١٢هـ
وتتميز هاتين المشكاتين المزخرفتين بالمينا والمموهتين بالذهب بثراء زخرفي في غاية من الروعة والجمال وجاء هذا الثراء الزخرفي ليتناسب مع الثراء الزخرفي على باطن القبة ومقرنصاتها خاصة من ناحية التذهيب والألوان ٠
وبالنسبة لرسم الهلال وبداخله ثلاثة نجوم على رقبة كل مشكاة من هاتين المشكاتين نجد رسم لهذا الهلال وبداخل ثلاثة نجوم أيضا على التركيبة الرخامية التى تعلو قبر الخديو إسماعيل مع الاختلاف في الألوان ما بين الهلال والنجوم التي رسمت على المشكاتين وما بين الهلال والنجوم التي رسمت ونحتت على التركيبة الرخامية لقبر الخديو إسماعيل وأيضا في موقع النجوم بالنسبة للهلال ففي رسم الهلال الذي رسم على كل من المشكاتين نجد أن نجمتين اقرب الي باطن الهلال تليهما النجمة الثالثة

أما في رسم الهلال الذي على كل خرطوش من الخرطوشين اللذين على التركيبة الرخامية التي تعلو قبر الخديو إسماعيل فنجد أن نجمة واحدة اقرب ألي باطن الهلال يليها النجمتين الأخريين انظر اللوحة رقم ٩ ٠

تميزت هاتين المشكاتين بان لكل منهما قاعدة من النحاس قابلة للفك والتركيب بواسطة عدد من المسامير ٠

وبالأطلاع على الكتالوج الخاص بأدوات الإضاءة لمحرره جوستن وايت وبمشاهدة المشكاوات الموجودة بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة لم أجد مشكاوات زجاجية لها قاعدة من النحاس أو من أي مادة أخرى غير الزجاج مما يضيف ميزة جديدة للمشكاتين بخلاف الميزات الأخرى التي سبق ذكرها.

وإذا كنا قد أرجعنا مكان صناعة المشكاة الأولى ١هـ الي بوهيميا فان ارجح أن يكون مكان صناعة هاتين المشكاتين هو فرنسا خاصة وان فرنسا من البلاد الأوربية التي قلدت المشكاوات الزجاجية المملوكية وكان ذلك فى القرنين ١٨ ، ١٩م وكان محمد على واسرته يحصلوا على مقتنياتهم الخاصة من الزجاج من المصانع الخاصة فى بوهيميا وفرنسا وبعض الدول الأوربية الأخرى .